الخاتمة

مقارنة ، ونتائج ، وتوصيات

أولاً : مقارنات في حقوق المرأة :

هذه الومضات الخاطفة عن حقوق المرأة ، ومساواتها بالرجل ، قررها الإسلام قبل أربعة عشر قرناً ، وإذا أردنا المقارنة السريعة لتوضيح ذلك ، حسب القول الشائع « وبضدها تتميز الأشياء » فنقول :

إن القرآن الكريم حمل بشدة واستنكار على العادات الفاسدة ، والقيم الجاهلية في شأن المرأة ، كوأد البنات ، والاشمئزاز من ولادة البنت ، واعتبارها محل العار والشنار ، وتشبيه الملائكة بالبنات استخفافاً واستهزاء ، ودعوة اتخاذ الله البنات ولداً له سخرية وتشكيكاً ، وحرمان المرأة من الميراث ، واعتبارها سلعة تباع وتورث .

ومنع الشرع عَضْلَ المرأة في الزواج ، والتعدد غير المحدود للزوجات ، والتلاعب بالطلاق حسب الأمزجة ، مع ترك المرأة معلقة ، وإيقاع الطلاق ثم الرجعة بعدد غير محدود طوال حياتها ، وإكراه الفتيات على البغاء ، أو الزواج بالإكراه .

كما حرَّم الإسلام ما كان في الجاهلية من السفاح ، والاستبضاع ، والاستبدال بين الزوجات ، والمعاشرة الجماعية ، وإلحاق الولد حسب الرغبات .

وفي الغرب القريب كان رجال الدين يمنعون المرأة من قراءة الكتاب

المقدس ، وكانت المرأة تُحرم من التعليم في أوربة ، وأول امرأة تقدمت لامتحان الثانوية في فرنسا عام ١٨٦١م ، فلم يُقبل طلبها إلا بعد تدخل زوجة نابليون الثالث ، والوزير رولان ، وأول جامعة فتحت أبوابها للمرأة في ألمانيا عام ١٨٤٠م هي جامعة زيوريخ ، وأن المرأة في نظرهم تحمل الخطيئة والمسؤولية الأبدية عن إخراج آدم من الجنة ، وأن أهلية المرأة في المال والتصرفات لم تثبت كاملة في فرنسا وأوربة إلا في القرن العشرين[١] .

علماً بأن التاريخ الإسلامي ، وخلال أربعة عشر قرناً قَضَت ، وخاصة في العصور الأولى الزاهية ، أثبت مكانة المرأة المسلمة وحقوقها عملياً في الدعوة ، والتعليم ، والحياة الاجتماعية ، والسياسية ، والجهاد ، وخلَّد أثرها الباهر في جميع المجالات ، والنساء الشهيرات أكثر من أن يُحصين ، وكان منهن العالمات ، والقارئات للقرآن ، والمحدِّثات ، والفقيهات ، والداعيات ، والزوجات الصالحات ، والأمهات المثاليات ، والبنات الفضليات ، ونُذكِّر بأن خديجة الكبرى رضي الله عنها كانت أول الناس إسلاماً ، وفاطمة بنت الخطاب كانت السبب في إسلام أخيها عمر رضي الله عنهما ، وهو أحب العمرين لله تعالىٰ ، وعائشة كانت من أكثر رواة الحديث ، وأم سلمة كانت مثلاً أعلى في العطاء ، والسخاء ، والفضيلة .

وتاريخ النساء في الإسلام مقرون باستمرار مع الرجال في كتب الصحابة ، والتراجم ، والتاريخ ، والشعر ، والفقه ، والجهاد ، وكثير من النساء ضربن المثل الأعلى في الحياة في التاريخ الإسلامي ، دون

---

(١) انظر أمثلة كثيرة في كتاب : المرأة في التاريخ والشريعة ، للدكتور أسعد السُّحمراني - بيروت .

تنطُّع ، أو حَجْر ، أو تدخل أجنبي خبيث ، أو دعوة ماكرة للتحرر ، ولهن قصص طريفة ، بدءاً من السيرة النبوية ، وحياة الرسول ﷺ إلى عصر الراشدين ، فالأمويين ، فالعباسيين ، فالأيوبيين ، فالمماليك ، فالعثمانيين ، وفي المغرب العربي ، والأندلس ، حتى كانت الشيخة « شهدة » الملقبة بفخر النساء تحاضر في القرن الخامس الهجري بجامع بغداد .

وجاءت الحضارة الحديثة تتاجر بالمرأة ، وسمعتها ، وجمالها ، وزينتها ، وعاطفتها ، وتتخذها سلعة للدعاية لتسويق المجلات ، والبضائع ، والمنتجات الصناعية ، وتستغل أنوثتها وجمالها للحفلات الماجنة ، وجمع الأموال ، وإفساد الأجيال ، وتتخذ من الفتيات سكرتيرات للهو والعبث ، وجلب الزبائن ، والمباهاة في المكاتب والحوانيت ، ومكاتب الطيران والشركات ، ويحرصون عليها مادامت في فتوتها وجمالها وحيويتها ، ثم يديرون لها الظهر ، أو يتخلون عنها ، أو يتركونها في الخلف ، وينشغلون عنها عند نقص ـ أو فقد ـ الفتوة والجمال والحيوية .

والحضارة اليوم أفقدت المرأة أنوثتها ، وكلفتها الأعمال المشينة والمهينة ، وجرّدتها عن فطرتها ، وأمومتها ، وجففت أثداءها عن الرضاعة بتكليفها بالأعمال ، أو التزيين لها بالمحافظة على الجمال ، ثم عادت اليوم تبكي وتنادي بالرضاعة الطبيعية من الأمهات ، وبيان فضلها ، وفوائدها ، ومنافعها ، وكيف يتم ذلك وهي تجعل منها عاملة تكسب قوتها ، وبنصف أجر مثيلها الرجل في كثير من الدول ، وبعد أن تخلى الرجل عن مسؤوليته ، حتى يقاسمها ثمن الوجبة والضيافة ، وانهارت الأسرة في الغرب تقريباً ، وضاع الأولاد ، وفسدت العلاقات الاجتماعية والعائلية في الأسرة التي تعتبر فيها الزوجة والأم عمودها وعمادها .

وبدأت الدعوة في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٦م على أعلى المستويات بالتباكي على الأسرة ، والمطالبة بالحفاظ عليها ، واعتبارها إحدى الدعايات الانتخابية الرئاسية ، وقد اتخذ الرجال الخليلات والصواحب اللاتي لا حقَّ لهن تجاه الرجل ، وعلى المرأة أن تتحمل آثار هذه العلاقات المؤقتة ، والنزوات الطائشة ، فتلجأ إلى موانع الحمل الضارة ، وعمليات الإجهاض والإسقاط ، وإلا تحملت مسؤولية تربية أولاد لا يعرف لهم أب ، ولا يتعرف عليهم أحد ، وحتى قانون نابليون اعتبر المرأة ناقصة الأهلية ، وأنها مخلوق قاصر مدى الحياة[١] .

وإن تحرير المرأة في الغرب ، ومحاولة تصدير هذا الشعار الخادع إلى الشرق هو تحرير من الحشمة ، والأخلاق ، والقيم ، مما أدى إلى هدم الأسرة أولاً ، وأوقعها في المآسي المحزنة التي تصرخ منها نساء الغرب اليوم ، بالإضافة إلى ما تخفيه هذه الدعوة الخبيثة في بلادنا من نوايا سيئة ، ومؤامرات ، وتآمر .

وفي المقابل تعود المرأة المسلمة المحتشمة المحجبة الواعية المثقفة إلى ممارسة حقوقها الإسلامية بوعي وثقة ، وتنافس الشباب في الجامعات والأعمال الطاهرة النظيفة ، وتخدم أمتها ومجتمعها ، وتحافظ على وظيفتها المقدسة في الأسرة والتربية ، وتظل في مكانها المقدس المحترم المبجل كأم ، وبنت ، وزوجة ، وأخت ، وجارة ، وذات رحم ، تحظى بالرعاية الكريمة اللائقة ، مما تحسد عليه في أوربة ، وأمريكا ، والصين ، وروسيا ، كما تشارك المرأة المسلمة في معظم البلاد العربية والإسلامية بسائر النشاطات السياسية والاجتماعية والفكرية .

---

(١) المرأة في التاريخ والشريعة ، للدكتور أسعد السُّحمراني ص٦١ .

كما تجد التفاهم ، والودَّ ، والسكن ، والمودة ، والراحة ، والطمأنينة في الأسرة الإسلامية ، القائمة فعلاً على تطبيق شرع الله ودينه ، والالتزام بالأحكام والآداب ، ويكاد ينعدم الطلاق في مثل هذه الأسر ، بل كثيراً ما تكون السيرة الحميدة للأسرة المسلمة الإسلامية المعاصرة ، ونواتها المرأة ، أحسن سبيل للدعوة والترغيب في الإسلام ، كما كان شأن الأسرة المسلمة في السلف الصالح .

ثانياً : نتائج البحث وتلخيصه :

١ـ إن دراسة حقوق المرأة في الشريعة والقانون مهمة جداً ، وضرورية ، ويجب أن تعتمد على المقارنة والموازنة مع الأنظمة القديمة ، والقوانين القائمة ، والمواثيق الدولية ، والحضارة الحديثة .

٢ـ لقد أنصف الإسلام المرأة ، ومنحها الحقوق كاملة كالرجل ، مع فوارق جزئية يختص بها الرجل ، أو تختص بها المرأة ، بما يتفق مع نظرتها ، وتكوينها ، ومع وظيفتها الأساسية في الحياة .

٣ـ إن وظيفة المرأة الأساسية في الحياة تتمثل في الأسرة ، لإقامة الحياة الزوجية ، كزوجة صالحة ، وأم حانية ، ومربية متميزة ، وبنت غالية ، وأخت عزيزة ، وذات رحم موصول .

٤ـ إن طبيعة المرأة كطبيعة الرجل من جنس واحد ، وهو الإنسان ، ولها أهليتها الكاملة ، وهي مكلفة شرعاً ، ومسؤولة عن أعمالها وتصرفاتها ، الإيجابية والسلبية ، في الدنيا والآخرة ، وأقرت القوانين العربية هذه الأمور في العصر الحاضر باستمدادها من الشرع الحنيف .

٥ـ إن المرأة لها حقوق مشتركة كالرجل ، كحقها في التعليم ، والتأديب ، والعمل ، والزواج ، والأسرة ، والنفقة ، والميراث ، والحقوق السياسية المختلفة .

٦ـ قرر الإسلام بعض الحقوق والأحكام الخاصة بالرجل ، ولا تشاركه المرأة ، وأقر بعض الحقوق والأحكام للمرأة ، ولا يشاركها الرجل ، وخوَّل الأم ثلاثة حقوق على الأولاد مقابل حق واحد للأب .

٧ـ تظهر المقارنة بين الشريعة والأنظمة والقوانين والمواثيق الدولية سمو الشريعة ، وتقدمها ، ونظرتها المتميزة والخاصة للمرأة ، وقد أثبت ذلك التاريخ الإسلامي ، والتطبيق العملي ، ماضياً وحاضراً ، وهي تفوق بإطلاق حال المرأة في الأنظمة والتشريعات القديمة ، وهي أفضل نظرياً وعملياً في حال المرأة غير المسلمة في العصر الحاضر .

٨ـ إن الأخطاء التي تقع من بعض المسلمين يتحملها أصحابها ، ولا تتحملها الشريعة والأنظمة الإسلامية ، ولا يجوز تعميمها ، وهي مخالفة للشرع ، ومَثَلُها في ذلك مثلُ كل المخالفات التي تقع للقوانين والشرائع في جميع أرجاء المعمورة .

ثالثاً : التوصيات :

١ـ إن التوصية الأولى والأساسية والعامة الشاملة هي الدعوة لتطبيق شرع الله ، والعودة إلى حظيرة الدين الإسلامي ، والالتزام بأحكام الشرع التي وضعها الله تعالىٰ لخلقه ، ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ .

٢ـ نناشد المرأة عامة ، والمرأة المسلمة خاصة ، بالتمسك بحقوقها التي قررها الإسلام ، ومنحها إياها ، بعيدة عن الإفراط والتفريط ، والغلو والتقصير ، والقائمة على الإخلاص لله رب العالمين ، وهذا ما يحفظ كرامة المرأة ، ويؤمن حقوقها ، ويبوئها المكانة السامية .

٣ـ نطالب باستمداد جميع القوانين من الشريعة الإسلامية ، والفقه الإسلامي الزاخر ، والاستفادة من المعطيات المعاصرة ، والمستجدات

الجديدة ، لتكون الحقوق والواجبات قائمة على الحق والعدل الذي قرره المشرع الحكيم .

٤ـ يجب كشف اللثام عن الأغراض الدنيئة التي تحصل من تدخل الأجانب بمركز المرأة المسلمة ، والتحرر من دعوى تحرر المرأة كشعار ملغوم ، ومستورد ، وخادع ، مع عدم السكوت عن كل ظلم يقع بالمرأة في بلاد المسلمين .

ونسأل الله تعالىٰ العون والتوفيق والسداد ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

* * *